

العنوان:	رحلة داخل المسجد الأزرق: نموذج الإبداع المملوكى فى العمارة الإسلامية
المصدر:	مجلة الراقد 2
الناشر:	حكومة الشارقة - دائرة الثقافة والإعلام
المؤلف الرئيسي:	أبو زيد، خلف أحمد محمود
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	يوليو
الصفحات:	33 - 39
رقم MD:	756223
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	المسجد الأزرق - القاهرة، العمارة الإسلامية، العصر المملوكى
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/756223

رحلة داخل المسجد الأزرق

نموذج الإبداع المملوكي في العمارة الإسلامية

خلف أحمد محمود أبو زيد



يعد الجامع الأزرق من أجمل مساجد القاهرة الإسلامية، وأكثرها تفرداً وجمالاً، حيث امتزج فيه الطراز المملوكي، الذي اعتمد على بناء المساجد ذات الواجهات الحجرية المزخرفة، بالطراز العثماني الذي اعتمد في تخطيط المساجد على أروقة محمولة على أكتاف. هذا الامتزاج الفريد الذي قلما نجده في مساجد أخرى، وصفه المقريزي في خطه، بأنه من أجمل جوامع مصر، وقبل أن نعيش في رحلة داخل هذا الأثر المعماري الفريد، وجهود الإصلاح التي شملته عبر الزمان، حتى ظهر بهذا المظهر الفريد، نتعرف على صاحب الأثر، وهو الأمير آق سنقر، أحد مهاليك السلطان المنصور قلاوون، أبرز سلاطين دولة المماليك البحرية، احتضنه الملك الناصر، وعينه في عدة وظائف، حتى صار أحد الأمراء المقربين، وزاد من قربه له أن زوجه إحدى بناته، وبعد وفاة الناصر عين نائباً على غزة، ثم عين أميراً على البريد والهجن في دولة الصالح إسماعيل بن الناصر محمد، ثم ولي نيابة طرابلس، وفي دولة الكامل شعبان تلالاً نجهه، وعمل على انتقال الملك إلى المعظفر حاجي ابن الناصر محمد بن قلاوون، حتى صار نافذ الكلمة، حيث لعب دوراً كبيراً في سياسة الدولة، إلى أن قبض عليه في ربيع الآخر سنة 748هـ/ 1347م، وقتل رحمه الله ودفن في المسجد، عرف عنه أنه كان صاحب سيرة حميدة، أجملها المقريزي بقوله: «كان صاحب سيرة مشكورة بين الناس، فكان لا يمنع أحداً شيئاً طلبه كائناً من كان، ولا يرد سائلاً يسأل، ولو كان ذلك غير ممكن، فارتزق الناس في أيامه، واتسعت أموالهم، وتقدم من كان متأخراً، حتى كان الناس يطلبون ما لا حاجة لهم به».



إنشاء المسجد

إثرها ورود ريع الأوقاف المخصصة للجامع، مما أثر على العاملين به، حيث اقتصرتم الخدمات التي تؤدي بالمسجد على إقامة الصلاة والخطب أيام الجمع والأعياد فقط.

أسماء المسجد

لقد عرف هذا المسجد بالعديد من الأسماء، منها مسجد النور، كما ورد ذلك على اللوحة المثبتة على جدران المقبرة المدفون بها الأمير آق سنقر، حيث نقشت عليها عبارة: «هذا قبر المرحوم آق سنقر الناصري، المعروف بجامع النور»، كما يطلق عليه جامع إبراهيم أغا وهو أحد كبار الأمراء الأتراك، والذي قام عندما كان ناظراً للأوقاف، بعمارة كبيرة لهذا المسجد، عقب الأضرار التي لحقت به بسبب زلزال عنيف هز القاهرة في ذلك الوقت، حيث قام بإصلاحه وترميمه، وشيد لنفسه بالمسجد مدفناً، إلا أن أشهر هذه الأسماء هو الجامع الأزرق، وذلك يعود لوجود مجموعة كبيرة من البلاطات

يقع هذا المسجد بالقرب من قلعة الجبل، فيما بين باب الوزير والتبانة، وقد شرع في بنائه الأمر آق سنقر الناصري، في 16 رمضان سنة 747هـ يناير 1346م، وقد استخدم في بنائه الطوب الأحمر والحجر والرخام، حيث أشرف بنفسه على عملية البناء، لدرجة أنه كان يقضي معظم وقته مع العمال القائمين على عمارة المسجد، يساعدهم في حمل الأتربة الناتجة عن حفر أساساته، كما شيد بجانبه كتاباً لتعليم الأيتام، بأسفله سبيل يسقي الناس الماء العذب، كما شيد بجوار المسجد مقبرة لنفسه ولأسرته، وقد أوقف الأمير آق سنقر إحدى ضياع حلب بالشام، تغل ريعاً سنوياً كبيراً للصرف على المسجد وتعميره، ودفع رواتب الموظفين والقائمين عليه، وقد افتتح المسجد للصلاة يوم الجمعة الثالث من ربيع الأول سنة 748هـ 13 يوليو سنة 1347م، أي بعد ستة أشهر من الشروع في البناء، واستمرت أوقاف المسجد حتى عام 807هـ / 1399م، وفي أيام السلطان المملوكي برقوق، حدثت فتنة ببلاد الشام، انقطع على



الوصف المعماري للمسجد

يمثل المسجد الأزرق طرازاً معمارياً فريداً، تجسد فيه الإبداع المملوكي في مجال العمارة، أثناء حكم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، فقد وضع تصميم هذا

الخزفية الزرقاء اللون التي كسا بها إبراهيم أغا بعض جدران المسجد، بما في ذلك مدفته، ونظراً لغلبة اللون الأزرق على زخارف هذه البلاطات، اشتهر المسجد بهذا الاسم..



يُتوصَّل إلى داخله من ثلاثة أبواب، في واجهاته الغربية والبحرية والقبلية، والأخيران غير متعامدين؛ إذ البحري منهما منحرف إلى الجهة الغربية، أما عن الواجهات

المسجد على غرار المساجد الجامعة، أربعة إيوانات يتوسطها صحن مكشوف، أكبرها إيوان القبلة المشتمل على رواقين، أما الإيوانات الثلاثة فكل منها رواق واحد،



توسعات إبراهيم أغا

في العصر العثماني، قام إبراهيم أغا ببعض الإصلاحات والتوسعات في المسجد، ومن أهمها:

- إنشاء حجرة بمؤخرة الإيوان القبلي جدرانها مؤزرة بالرخام، وبها محراب رخامي، كسي بالقاشاني، حتى السقف، يتوسطها قبر من الرخام، أنشأه في حياته سنة 1064هـ، ومكتوب عليه: «أنشأ هذا المكان المبارك الراجي عفوره، ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه وهو الغفور الرحيم، إبراهيم أغا مستحفظان حالاً بتاريخ شهر شعبان المبارك، في سنة 1064هـ، ومثبت فوق شبك المدفن من الخارج لوحة رخامية، بتاريخ عمارته للمسجد، ونصها: «إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله.. عمر وجدد هذا الجامع الشريف المبارك إبراهيم أغا مستحفظان حالاً بتاريخ سنة إحدى وستين وألف من الهجرة النبوية»، وتوجد لوحة أخرى على الواجهة البحرية للمدفن نصها: «أنشأ هذا المدفن المبارك من فضل الله تعالى في زمن عبد الرحمن باشا حاكم مصر

الخارجية للمسجد، فكلها مبنية من الحجر المصقول بلونين أحمر وأصفر، وأهم واجهاته التي بها الباب العمومي للمسجد، وهو باب محمول على كوابيل ظريفة، وعنق الباب ملبس بمزرات رخامية خضراء، وعلى يساره قبة دفن فيها السلطان الملك الأشرف علاء الدين كوجك، ابن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، المتوفى في جمادى الأولى سنة 746هـ / 1345م، وهي قبة ظريفة بيضاء يعلوها شبك مستدير، لبس من حوله بالرخام الملون المزخرف يغطيها مقرنص واحد، وعلى يمين الباب شباكان حليت أعتابهما بمزرات رخامية خضراء، يغطيها مقرنص واحد، أما المدخل الجنوبي الغربي فيصعد إليه من الشارع بواسطة سلالم حجرية، ويجوار هذا المدخل توجد واجهة قبة مدفن إبراهيم أغا، أما المدخل الثالث الذي يقع بدرب شعلان فهو في مستوى أرضية الشارع، ويشبه تماماً مدخله الجنوبي الغربي، ويجاور المدخل الجنوبي للمسجد، مربع بسيط البناء بداخله قبر تسوده البساطة، به لوحة كتب عليها: «هذا قبر المرحوم آق سنقر الناصري».

زهريات مختلفة وزهوراً ملونة، ولذلك كما أضحنا من قبل عرف الجامع، وخاصة عند الزائرين الأجانب

المحروسة إبراهيم أغا مستحفظان حالاً تاريخ سنة 1062هـ».



بالجامع الأزرق، نسبةً إلى مجموعة القاشاني النادرة الموجودة فيه.



المنبر الرخامي الملون

ومما يسترعي النظر المنبرُ الرخامي الملون، بدرابزينه الحافل بالزخارف البارزة المؤرفة، وعناقيد العنب، وهو أقدم منبر رخامي باق في مساجد مصر، يليه منبر مدرسة السلطان حسن.

إنشاء الإيوان الشرقي، الذي يعد من أكبر الإيوانات، وهو يشتمل على رواقين، كانت عقودهما محمولة على أكتاف حجرية مثبتة وسقوفها معقودة، وما زال الرواق أمام المحراب محتفظاً بأصله إلى اليوم لم يتغير، بخلاف الرواق الثاني المشرف على الصحن، فإن عقوده استبدل بها سقف من الخشب، وبقي طرفاه على أصلهما، وأبدلت بدعائمه عمد رخامية، وأكتاف حجرية مربعة. ولم يقتصر اهتمام إبراهيم أغا على هذه العمارة، بل كسا الجدار الشرقي حتى السقف بالقاشاني الملون الجميل، وهي أكبر مجموعة وجدت في أثر واحد بمصر، وتزيد أهمية هذه المجموعة بأنها صنعت خصوصاً لهذا الجامع، ولذلك نجدها كاملة ونقوشها متماثلة، فبعضها يمثل محراباً يعلوه قنديل، كتب عليها: «يا لله يا محمد»، يكتنفه عوداً سرو وبداخله زهرية، تفرعت منها فروع نباتية، تحمل زهوراً، والبعض الآخر يمثل

المحراب

يتصدر رواق القبلة، وهو مكسوٌ بأشرطة دقيقة من الرخام والصدف، يتخلله محاريب صغيرة محمولة على عمد تعلوه طاقية مكسوّة بفسيفساء رخامية وقبة كبيرة، مبنية من الطوب، تقوم على أربع حنايا وكنبة، وعلي يسار هذا المحراب لوح من الرخام مكتوب فيه: «رؤي النبي صلي الله عليه وسلم، في هذا المحراب المبارك في ليلة السبت تاسع شهر ذي القعدة الحرام سنة ثمان وستين وثمان مائة، وهو قائم يصلي، عمر هذا الجامع الشريف إبراهيم أغا مستحفظان حالاً في تاريخ 1062هـ».



المئذنة

تعد من أجمل مآذن القاهرة، والثانية من نوعها بعد المئذنة الغربية، لمسجد الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة، وهي مئذنة مبنية من الحجر، تجمع بين البساطة والتناسب، وتتكون من ثلاثة طوابق، الطابق الأول أسطواني يقوم على قاعدة مربعة، تفصل بينه وبين الطابق الثاني شرفة تقوم على مثلثات من الدلايات المقرنصة الجميلة التنسيق، ويتكون الطابق الثاني من قنوات مستطيلة مضلعة، أما الطابق الثالث فيتكون من ستة أعمدة تعلوها خوزة خشبية مغلقة بالرصاص لتخفيف الضغط على الأعمدة، ولهذه المئذنة ثلاث شرفات للأذان بواقع واحدة بكل طابق، وهي محمولة على صفوف من المقرنصات الحجرية الدقيقة المعقدة.



مصادر

- (1) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقرية، تأليف تقي الدين علي المقرزي.
- (2) تاريخ المساجد الأثرية في مصر، تأليف حسن عبد الوهاب، الناشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر.
- (3) مجلة منبر الإسلام، العدد 6، جمادى الآخر 1426 هـ 2005م.
- (4) جريدة الجمهورية المصرية، العدد الصادر بتاريخ 7/8/2012م.

